تفسير إبن كثير

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ

وتولى عنهم وقال ياأسفى على يوسف) أي : أعرض عن بنيه وقال متذكرا حزن يوسف القديم الأول : (ياأسفى على يوسف) جدد له حزن الابنين الحزن الدفين .قال عبد الرزاق ، أخبرنا الثوري ، عن سفيان العصفري ، عن سعيد بن جبير أنه قال : لم يعط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع ، ألا تسمعون إلى قول يعقوب ، عليه السلام : (ياأسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) أي : ساكت لا يشكو أمره إلى مخلوق قاله قتادة وغيره .وقال الضحاك : (فهو كظيم) كميد حزين .قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا حماد بن سلمة [حدثنا أبو موسى] عن علي بن زيد عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، أن النبي - صلى االله عليه وسلم - قال : " إن داود عليه السلام ، قال : يا رب ، إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فاجعلني لهم رابعا . فأوحى االله تعالى إليه أن يا داود ، إن إبراهيم ألقي في النار بسببي فصبر ، وتلك بلية لم تنلك ، وإن إسحاق بذل مهجة دمه في سبيي فصبر ، وتلك بلية لم تنلك ، وإن يعقوب أخذت منه

حبيبه حتى ابيضت عيناه من الحزن ، فصبر ، وتلك بلية لم تنلك " .وهذا مرسل ، وفيه نكارة ; فإن الصحيح أن إسماعيل هو الذبيح ، ولكن علي بن زيد بن جدعان له مناكير وغرائب كثيرة ، واالله أعلم .وأقرب ما في هذا أن يكون قد حكاه الأحنف بن قيس ، رحمه االله ، عن بني إسرائيل ككعب ووهب ونحوهما ، واالله أعلم ، فإن الإسرائيليين ينقلون أن يعقوب كتب إلى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة يتلطف له في رده ، ويذكر له أنهم أهل بيت مصابون بالبلاء ، فإبراهيم ابتلي بالنار ، وإسحاق بالذبح ، ويعقوب بفراق يوسف ، في حديث طويل لا يصح ، واالله أعلم ، فعند ذلك رق له بنوه